(03) عِبرة للمعتبِرين بين الاِتّباع والاِبتداع في طعام العزاء من خِلال دروس غزوة مُؤْتة المسمّاة سريّة الأمراء

2025-11-07

الحمد لله الذي بعث الحبيب المصطفى ﷺ ليتمّم مكارم الأخلاق، فدعا إلى الاِتّحاد والاِتّفاق، وهو أشفق الناس على المساكين واليتامى بالإحسان والإنفاق، وجعل سيرته موضع الاِقتداء والوِفاق، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون لأنه أجدر بالمنافسة والسّباق، نحمدك اللهم أعظم الحمد على ما هديتنا به من إيمان صادق، ونبيّ بالحِكمة ناطق، هديتَ به الأمّة، وكشفتَ به الغمّة، ومحَوْتَ به الظُّلمة، صلِّ اللهم على هذا النبي التقي النقي، صلاةً تليق بجودك العظيم، وبمقامه الكريم، فقد فضَّلته على سائر النبيّين، فاللهمَّ اَرْضَ عنَّا بالصلاة عليه، واجعلنا من خير الواصلين إليه. وأشهد أن لا اله إلا الله، وحده لا شريك له، شهادة نَعُدُّها من أكبر نِعَمه وعطائه، ونَعُدُّها وسيلة إلى يوم لقائه، فسبحانه من إله قَسَم بين الناس الأعمال والأرزاق، وجعل الموت حقا يهدم اللذات والأذواق، وأمَر بذِكْره وتذكّره درءًا للفساد والشقاق، وأشهد أنّ سيّدنا محمدًا عبد الله ورسوله، وصفيّه من خلْقه وخليله، أَرْسَلَهُ ربه إِلَى النَّاسِ مُصْلِحًا وَمُزَكِّيًا، وَعَلَى الفَضَائِلِ دَلِيلاً وَمُرَبِّيًا، فأظهر الله به الشرائع المجهولة، وقمع به البدع المدخولة، وبيّن به الأحكام المفصولة.

محمّدُ المصطفى الهادي لسنّتِهِ * أعزِز به من نبيّ في سيادتِهِ

الجود والخير طَبْعٌ في جِبِلَّتِهِ * يا مُرْتَجين نوالا من عطيّتِهِ

صلّوا عليه وزيدوا في محبّتِهِ

اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد. السيّد المطاع الذي تصلح به الأحوال وتهتدي إلى العمل الصالح والرأي الناجح. وعلى آله الطّيّبين الأردان والروائح. وصحابته ذوي السعي المشكور والمتجر الرابح. صلاة

تصلح لنا بها القلوب والجوارح. وتطهّرنا بها من الأوصاف الذميمة والقبائح. وتنشقنا بها من عَرْف رضاك ورضاه أطيب النواسم وأعطر النوافح. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. قدّمنا لكم في الجمعة الماضية في إطار توظيف السيرة النبوية في عملية الإصلاح، نستطلع أسرارها، ونستكشف مكامنها؛ لأنها التطبيق المثالي للقرآن، والترجمة العملية لتعاليم الإسلام. وقدّمنا لكم من سيرة النبي ﷺ في الجمعة الماضية غزوة مُؤْتة، لكونها وقعت في هذا الشهر، شهر جمادى الأولى، وهي أوّل معركة وقعت بين المسلمين والصليبيين، درات حلقاتها في حدود الشام؛ حيث قابل فيها جيش المسلمين وعدد المقاتلين فيه ثلاثة آلاف، جيشا من دولة الروم الصليبية، قوامه مائتا ألف، وهي معركة غير متكافئة من جميع المقاييس ماديًّا، ولكن معنويا فالمجاهد المسلم يقابل في القرآن الكريم في بعض الظروف بواحد أمام عشرة؛ يقول الله تعالى: {إِنْ يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِۚ وَإِن تَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفاً مِّنَ اَ۬لذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٞ لَّا يَفْقَهُونَۖ} ؛ الشيء الذي أدّى إلى إِستشهاد ثلاثة من قادة المسلمين الكبار، سادتنا وموالينا: زيد بن حارثة، وجعفر بن أبي طالب، وعبد الله بن رواحة، رضي الله عنهم، ثم تولّى القيادة سيّدنا خالد بن الوليد، رضي الله عنه، فانسحب بذكاء من المعركة؛ لأنه رأى أنّ الإِستمرار في المشاركة في معركة غير متكافئة بمنزلة الإِنتحار الجماعي لجيش المسلمين. وبعد رجوعه إلى المدينة المنوّرة وجد الشائعات الكاذبة قد سبقته، بأنه انهزم وفرّ وفشل، والشائعات دائما تسبق الحقائق، فالْتقى به الأطفال في مظاهرات سلمية مردّدين: مردّدين: ((يا فُرّار يا فُرّار))، فتدخّل النبي ﷺ على جناح السرعة مكذِّبًا الشائعة، رادًّا ومردّدا: ((ليسوا بالفُرَّار؛ بل الكُرَّار إن شاء الله))؛ أيّها المسلمون. وقد أخبر جبريل عليه السلام النبي ﷺ باستشهاد القادة الثلاثة (زيد بن حارثة، وجعفر بن أبي طالب، وعبد الله بن رواحة) قبل وصول الجيش المنسحِب؛ فذهب لتعزية أبناء الشهداء وقد أصبحوا يتامى،

فواساهم وسدّ حاجاتِهم، وأدخل الفرح إلى قلوبهم، فوجد أولاد سيّدنا جعفر يبكون، فقال ﷺ للصحابة فيما روى الإمام أحمد بسند صحيح: ((إصنَعوا لأهْلِ جعفرٍ طعامًا ، فإنَّهُ قد جاءَهُم ما يشغلُهُمْ))، هذه هي السنّة إذا مات أحد، أن نصنع لأهله طعاما، أن نواسيهم ماديا ومعنويا، أيّها المسلمون. فتعالوا بنا اليوم إنطلاقا من هذه المعركة نفسها، لنُصلح ظاهرة بدأ أمرها يستفحل بشكل لافت للاِنتباه؛ فالأصل الذي يفرضه حُسن الأخلاق، ويوافق التعامل الإنساني الحضاري النبيل، هو أن نكون بجانب من أُصيب في أحدٍ من أهله بالموت، بتقديم المساعدة المستعجَلة له؛ لأنه طبْعا سيكون في غمّ وهمّ، نظرًا لهوْل المصيبة التي تعرّض لها، ولفرْط البأس الذي فاجأه؛ دَرْءًا للبؤس عنه، وحِفاظا له من اليأس؛ وسنّة النبي ﷺ وهي هنا تقديم الطعام لأهل الميت، لم تكن أبدا لتخالف مقتضيات الإنسانية النبيلة؛ وما انتشر في مجتمعنا بين الناس ممّا يُسمّى (عشاء الميت)، أو (طعام العزاء)، يدخل ضِمن العوائد المتجذِّرة، والأعراف المتأصِّلة، دون أن يكون لها سندٌ شرعي مناسب لمناسبتها، وإن كانت تدخل ضِمن النصوص العامّة المرغِّبة في الصدقة على الميّت في أيّ وقت كانت؛ وسنّة النبي ﷺ هنا ماتت ولا يعرفها أحد؛ بل استبدلناها بعكسها، فانقلبت لدينا الموازين، ونكست المعايير، فأصبحنا ننتظر ممّن مات أن يَصنع لنا أهله طعاما، كأنّ مصيبتهم لا تكفي عندنا، وأصبح من أُصيب بالموت في أهله سرعان ما ينصب خيْمة كأنّها خيْمة عُرس يُراد إعلانه، أو حفْلة زواج يتطلّب إشهاره، كأنّ هذا الذي مات إنما عقَد قِرانه مع الموت، أو أنّ أهله ينتظرون وفاته، أمَا وقد تخلّصوا منه، فما يمنعهم أن يفرحوا ويستمتعوا، أيّها المسلمون. من أجل هذا كان لابدّ من إحياء سنّة إطعام أهل الميّت؛ ونصنع لهم طعاما، بدل أن يكونوا في غمّ الموت والفقدان، فنزيدهم همّ الأكل والطعام؛ وفي سنن الترمذي وابن ماجه أنّ النبيّ ﷺ قَالَ لِبِلَالِ بْنِ الْحَارِثِ الْمُزَنِيِّ رضي الله عنه: ((إعْلَمْ، إِنَّهُ مَنْ أَحْيَا سُنَّةً مِنْ سُنَّتِي قَدْ أُمِيتَتْ بَعْدِي، فَإِنَّ لَهُ مِنْ الْأَجْرِ مِثْلَ مَنْ عَمِلَ بِهَا، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ

أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ ابْتَدَعَ بِدْعَةَ ضَلَالَةٍ، لَا تُرْضِي اللَّهَ وَرَسُولَهُ، كَانَ عَلَيْهِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أَوْزَارِ النَّاسِ شَيْئًا))، أمّا طعام العزاء فالناس فيه مختلفون؛ فمنهم مَن تطرّف فاعتبره حراما، ومنهم مَن تحرّف فاعتبره حلالا، ومنهم مَن توسّط فاعتبر أنّ الأمر فيه تفصيلا وخير الأمور أَوْسطها. أيّها المسلمون. الصدقة على الميّت أمرٌ مشروع، والدعاء للميّت أمرٌ مطلوب، وكذلك قراءة القرآن الكريم، ثم الدعاء بإيصال ثواب القراءة للميّت، أمرٌ لا غبار عليه عند جمهور العلماء؛ لأنه يَخرج مخرج الدعاء؛ ولا يستطيع أحدٌ أن يقول: إنّ طعام العزاء بعد الوفاة حرام، إلاّ مَن كان من عادته التعنّت، أو التصلّب على ظواهر النصوص، منغلِقًا عن فحْواها، متشدّدًا في فتواها؛ لأنّ الأصل في الأشياء الإباحة؛ ولكن لابدّ من الوقوف عند طعام العزاء بين محاسن الاِتّباع ومساوي الاِبتداع، ولذلك فالصدقة على الميّت هي على نوعين، أيّها المسلمون. النوع الأوّل: أن تكون الصدقة ومصارفها من غير مال الميّت؛ كأنْ يتبرّع أحدُهم بذلك؛ فهذا لا بأس به، وهو أمرٌ مشروع ومطلوب، الأدلّة على جوازها كثيرة؛ منها ما رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه، أنّ الصحابي الجليل سعد بن عبادة الأنصاري رضي الله عنه، سأل النبي ﷺ عن أفضل صدقة يتصدّق بها عن أمّه التي ماتت وهو غائب في الشام، فقال: ((يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أُمَّ سَعْدٍ مَاتَتْ، فَأَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ؟، قَالَ ﷺ: الْمَاءُ، فَحَفَرَ بِئْرًا، وَقَالَ: هَذِهِ لِأُمِّ سَعْدٍ))، أيّها المسلمون. النوع الثاني: أن تكون الصدقة ومصارفها من المال الذي تركه الميت، وهنا مربط الفرس؛ لأنه مال الورثة، وقد يكون مِن بينهم أيتام صغار، والله تعالى يقول في سورة النساء: {إِنَّ اَلذِينَ يَاكُلُونَ أَمْوَٰلَ اَلْيَتَٰمِيٰ ظُلْماً اِنَّمَا يَاكُلُونَ فِے بُطُونِهِمْ نَاراًۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراًۖ}، فأكْل طعام اليتيم، يتحوّل يوم القيامة إلى طَعَامِ اُلَاثِيمِ، كَالْمُهْلِ يَغْلِے فِے اِلْبُطُونِ كَغَلْيِ اِلْحَمِيمِۖ؛ فلهذا لا يجوز التصرّف في مال الميّت بالتصدّق به إلا في حالتيْن: الحالة الأُولى: أن يكون قد أَوْصى بذلك في حياته، فتنفَّذ وصيّتُه في ثُلُث ماله فأقلّ، ولا يجوز أن تتجاوزه؛ روى

البخاري عن سيّدنا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، قال: ((عَادَنِي النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ عَامَ حَجَّةِ الوَدَاعِ مِن مَرَضٍ أشْفَيْتُ منه علَى المَوْتِ، فَقُلتُ: يا رَسولَ اللَّهِ، بَلَغَ بي مِنَ الوَجَعِ ما تَرَى، وأَنَا ذُو مَالٍ، ولَا يَرِثُنِي إلَّا ابْنَةٌ لي واحِدَةٌ، أفَأَتَصَدَّقُ بثُلُثَيْ مَالِي؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فأتَصَدَّقُ بشَطْرِهِ؟ قَالَ: الثُّلُثُ يا سَعْدُ، والثُّلُثُ كَثِيرٌ، إنَّكَ أنْ تَذَرَ ذُرِّيَّتَكَ أغْنِيَاءَ، خَيْرٌ مِن أنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ))، أيّها المسلمون. والحالة الثانية: أن يكون الورثة كلهم قد بلغوا سِنّ الرشد، واتّفقوا كلهم على أخْذ ما يتطلّبه إخراج الصدقة على ميّتهم من ماله، أو ما يسمّى طعام العزاء، أو عشاء القبر؛ بشرْط ألاّ يكون في ذلك إسراف، ولا ترفٌ وبذخ يُنسي واقع الموت وخشوعه، فيكون كالأعراس، وأن يَسلَم من المبارزات الممنوعة في الرياء والسمعة، وبهذا قال علماء المذهب المالكي؛ فقد جاء في كتاب الفواكه الدواني على شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني للشيخ أحمد بن غنيم النفراوي ما يلي: (وَأَمَّا مَا يَصْنَعُهُ أَقَارِبُ الْمَيِّتِ مِنْ الطَّعَامِ وَجَمْعِ النَّاسِ عَلَيْهِ فَإِنْ كَانَ لِقِرَاءَةِ قُرْآنٍ وَنَحْوِهَا مِمَّا يُرْجَى خَيْرُهُ لِلْمَيِّتِ فَلَا بَأْسَ بِهِ، وَأَمَّا لِغَيْرِ ذَلِكَ فَيُكْرَهُ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ الْأَكْلُ مِنْهُ إلَّا أَنْ يَكُونَ الَّذِي صَنَعَهُ مِنْ الْوَرَثَةِ بَالِغًا رَشِيدًا فَلَا حَرَجَ فِي الْأَكْلِ مِنْهُ، وَأَمَّا لَوْ كَانَ الْمَيِّتُ أَوْصَى بِفِعْلِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ فَإِنَّهُ يَكُونُ فِي ثُلُثِهِ وَيَجِبُ تَنْفِيذُهُ عَمَلًا بِفَرْضِهِ)، وجاء في حاشية ابن حمدون على متن ابن عاشر، في مَعرض كلامه على ما يجوز التصدّق به على الميّت: (وكذا إطعام الطعام للفقراء والمساكين، المعروف بعشاء القبر، إنْ سَلِم من الرياء والسمعة، وأن لا يترك أيتاما صغارا؛ إلا أن يوصي بذلك الميّت، ولم يزد على الثلث)، أيّها المسلمون. وممّا سبق يتبيّن لنا أنّ طعام العزاء ليس حراما، إلا في حالة واحدة، إذا كان من مال الميّت، وكان من بين ورثته يتامى صغار. وأمّا ربْط الصدقة من أجل الميّت بزمن معيّن، مثل ثلاثة أيام، أو الذكرى السنوية، فلا بأس بذلك إن شاء الله، لأنه عُرْفٌ لا يخالف شرعا؛ فالمطلوب منّا أثناء زيارة أهل الميّت في خيْمة العزاء، سواء أحيَيْنا السنّة فقدّمنا لهم الطعام، أو قدّموا

لنا الطعام من مالهم الخاص، صدقة على ميّتهم؛ فالمطلوب منّا القيام بثلاثة أمور: واحد لفائدة جميع مَن حضر، وواحد لفائدة أهل الميّت، وواحد لفائدة الميت، أيّها المسلمون. أمّا الأمر الأوّل لفائدة جميع مَن حضر، فهو العبرة؛ فالإسلام حينما شرع لنا التعامل مع الميّت قبل الوفاة وبعد الوفاة؛ بدأ بعيادة المريض، وقراءة سورة يس على الأموات، وتوجهيه للقِبلة أثناء خروج روحه، ثم غسْله وتكْفينه والصلاة عليه، وتشييع جنازته ودفْنه، ثم زيارة قبْره بعد ذلك؛ إنما الهدف من ذلك هو العِبرة، والعِبرة هي إحساس يشعر به الإنسان في قلْبه يدفعه إلى أمريْن: إدراك، واستدراك؛ إلى إدراك ما فعل من شر العمل وعمل الشر، وإلى استدراك ما فاته من عمل الخير وخير العمل، فيدفعه ذلك إلى مراجعة حساباته في الدنيا، فيجتنّب شرورا كان يرتكبها، وذنوبا كان يمارسها، حتى يغتنم الفرصة قبل فوات الأوان، قبل أن يلتحق بهذا الميّت الذي عالج أمْره حتى دفَنه وردّ عليه التراب، ويوما ما سيكون مثله.

كلُّ ابنِ أُنْثى وإن طالَتْ سَلامتُهُ * يَوْمًا على آلةٍ حَدْباءَ مَحْمولُ

أيّها المسلمون. أمّا الأمر الثاني لفائدة أهل الميّت، فهو التعزية، وهي التصبّر، وشعاره: {إنَّا لِله وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ}، وكان النبي ﷺ يقول في التعزية كما في الحديث المتفق عليه: ((إنَّ لِلَّهِ ما أخَذَ وما أعْطَى، وكُلُّ شَيءٍ عِنْدَهُ مُسَمًّى، فَلْتَحْتَسِبْ ولْتَصْبِرْ))، وأمّا الأمر الثالث فلفائدة لفائدة الميّت، فهو الدعاء له؛ روى أبو داود عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: «كان رسولُ الله ﷺ إذا فَرَغ من دفْن الميّت، وقَفَ عليه، وقال: ((كانَ النَّبيُّ صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ، إذا فرغَ مِن دفْنِ الميِّتِ وقفَ علَيهِ، فقالَ: استغفِروا لأخيكُم، وسَلوا لَهُ التَّثبيتَ، فإنَّهُ الآنَ يُسألُ))، وروى الإمام مسلم أنّ النبي ﷺ قال: ((إِذَا مَاتَ الإنْسَانُ انْقَطَعَ عنْه عَمَلُهُ إِلَّا مِن ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِن صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو له))، أيّها المسلمون. ونحن مع الأسف تعوّدنا أن لا نسمع أو نقرأ القرآن إلا في مناسبات

العزاء، حتى نرسّخ في نفوسنا ربْط القرآن بالأحزان؛ بينما القرآن الكريم هو كتاب حياة، وليس كتاب موْت؛ نزل على النبي ﷺ كما قال الله تعالى في سورة يس: {لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيّاً} لا لتمرير الأموات إلى رحمة الله. أَيُّهَا الـمُسْلِمُونَ. مَا أَحْوَجَ الأُمَّةَ اليَوْمَ إِلَى الاِقْتِدَاءِ بِرَسُولِهَا صَلَوَاتُ اللهِ وسَلَامُهُ عَلَيْهِ، والسَّيْرِ علَى مَنْهَجِهِ، واتِّبَاعِ سُنَّتِهِ!!؛ قالَ تعالَى في سورة الأحزاب: {لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ اللَّهَ وَالْيَوْمَ الاَخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً}. فَعَلَيْنا أَنْ نَتَأَسَّى بِرَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم الَّذِي اخْتَارَهُ اللهُ تعالَى قُدْوَةً وأُسْوَةً لَنَا، ونَتَعَلَّمَ مِنْ أَسَالِيبِهِ التَّرْبَوِيَّةِ مَا يُسَاهِمُ في نَجَاحِ مَنَاهِجِنَا وأَسَالِيبِنَا في الدَّعْوَةِ إِلَى اللهِ عَزَّ وجَلَّ. فاتَّقوا الله عباد الله. في أنفُسكم وفي أولادكم وذَوِيكم، واعلَموا أنَّه لا سعادة لكم إلاَّ في أنْ تعبدوا الله على بصيرة، ولا سبيل لذلك إلاَّ بالفقه في الدِّين، ومعرفة سنَّة النبي الأمين، صلى الله عليه وسلم. ومَن أراد الآخِرة فازَ بالدُّنيا والآخرة، ومَن أراد الدُّنيا فاتَتْه الآخرة، ولم يأتِه من الدنيا إلاَّ ما كُتِبَ له، فتَفقَّهوا في دينكم، والزَمُوا هدي نبيِّكم، صلى الله عليه وسلم. وأخلِصُوا العملَ لوَجْه ربِّكم، تكونوا من السُّعَداء في الدُّنيا والآخرة. اللَّهُمَّ اجعلْنَا مِمّنْ يستمعونَ القولَ فيتبعونَ أحسنَهُ، اللَّهُمَّ اجعلِ القرآنَ العظيمَ ربيعَ قلوبِنَا، وشفاءَ صدورِنَا، وجِلاءَ أحزانِنَا وهمومِنَا، وقائدنا ودليلنا إليك وإلى جنّاتك جنّات النعيم. اللهمّ اغفر لنا ولآبائنا وأمّهاتنا. ولمشائخنا ولمعلّمينا. وذوي الحقوق علينا. وتوفّنا اللهمّ مسلمين. وألحقنا بالصالحين. واكفنا شرّ الظالمين. واجعلنا من فتنة هذه الدنيا سالمين. وارحم بفضلك جميع المسلمين والمسلمات. الأحياء منهم والأموات. بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا رب العالمين. وآخِر دعوانا أنِ الحمد لله رب العالمين. اهـ